

المحاضرة الثالثة

إشكالية الانتحار

1. مفهوم الانتحار:

الانتحار لغة هو "عملية قتل الذات بذاتها"، وهو مفهوم مشتق من كلمة مركبة من أصل لاتيني من فعل « caedere » بمعنى "يقتل" والإسم « sui » الذي يعني النفس أو الذات. نقلت هذه الكلمة بكاملها إلى اللغة الفرنسية على يد الأب دي فينتين في سنة 1737.

الانتحار le suicide سلوك مميت يقوم به الشخص المنتحر le suicidé.

يعرفه إيميل دوركايم على أنه ظاهرة نفسية اجتماعية ترتبط أساسا بالنظام النفسي والاجتماعي للفرد وما يطرأ عليه من ظروف تغير مفاجئة.

أما بونورويس فقد انتهى إلى أن السلوك الانتحاري هو عملية دينامية معقدة بدلا من كونه حدثا منعزلا ثابتا.

2. مفهوم محاولة الانتحار la tentative de suicide:

هي سلوك غير مميت يقوم به المقدم على الانتحار un suicidant، ومع ذلك يجب أن يُأخذ على محمل الجد كل تعبير عن الرغبة في الانتحار، لأن محاولة الانتحار تترجم معاناة نفسية حقيقية وهناك دائما رغبة في الموت منتحرا.

3. مفهوم الشخص الانتحاري le suicidaire:

هو الشخص الذي لديه مشروع ليضع حدا لحياته ولكن الأمر مازال على مستوى الفكرة.

4. خريطة انتشار الانتحار في العالم:

قدمت منظمة الصحة العالمية خريطة توزيع الانتحارات في العالم، والتي بينت أن أعلى النسب توجد في بلدان دول البلطيق وروسيا الفيدرالية وأوكرانيا وبيلاروسيا وسيريلانكا وسلوفينيا والمجر. لتأتي بعد ذلك بلدان أوروبا الشرقية والغربية واليابان. أما الدول الأنجلو ساكسونية مثل: المملكة المتحدة، كندا، الولايات المتحدة وأستراليا فتعرف نسبا

متوسطة. في حين تعرف منطقة إفريقيا، أمريكا الجنوبية وكوبا أخفض النسب. في حين تتميز الدول العربية بنسب تتراوح ما بين منخفضة إلى منخفضة جدا.

5. ملحق الجزائري المنتحر:

بينت دراسة تحليلية أجراها إبراهيم بوالفلل في ولايات سكيكدة، جيجل، بجاية لإحصائيات مصالح الأمن والحماية المدنية لكل ولاية في الفترة الممتدة من 2000 إلى 2006 أن الفئة الأكثر إقداما على الانتحار أو المحاولات الانتحارية هي فئة الشباب ما بين 20 و 49 سنة، في حين أن الحالات بين كبار السن الذين تزيد أعمارهم عن 50 سنة فتكاد تكون منعدمة. أما عن جنسهم فهم ذكور في أغليبيتهم. وهم عزاب (سواء كانوا ذكورا أو إناثا). أما عن وسيلة أو أسلوب السلوك الانتحاري فيكون على التوالي: الشنق، القفز من مكان عال، استعمال المواد السامة، استعمال سلاح ناري، الموت غرقا واستعمال أسلحة حادة. أما عن الأسباب المقدمة من قبل مصالح الحماية المدنية أو مصالح الأمن للسلوك الانتحاري فقد بينت المعطيات الخاصة بولاية سكيكدة للفترة الممتدة ما بين 2000 و 2004 أن 34,32 % من الأسباب المقدمة للسلوك الانتحارية هي ذات طابع سوسيو اقتصادي، 28,35 % متعلقة باضطرابات نفسية، 22,38 % متعلقة بالمشاكل العائلية، لتأتي في الأخير أسباب مختلفة مثل: الإدمان على المخدرات، الفشل المدرسي، العلاقات الجنسية غير الشرعية.

6. التصنيفات المقدمة للانتحار:

قدم دوركايم أربعة أنواع للانتحار من منظور علاقة الشخص بالآخر والمجتمع، حيث أظهر أن العوامل الاجتماعية تترك تأثيرا جوهريا على السلوك الانتحاري:

- الانتحار الأناني: يحدث عندما تكون للفرد روابط قليلة جدا بالمجتمع ولم تحقق له مطالب الحياة.
- الانتحار الإيثاري: ويكون عندما تكون للشخص روابط اجتماعية قوية جدا لدرجة أنه يضحي بنفسه من أجل الجماعة.
- الانتحار المعياري: يحدث حينما تتحكم فجأة العلاقة المعتادة بين الفرد والمجتمع (في حالة حدوث صدمة نفسية عنيفة مثلا).
- الانتحار الجبري: وهو نتيجة لتنظيم متزايد يفرض على الأشخاص مثل: حالة العبيد اليائسين من إمكانية التحرر.

بالإضافة لتصنيف دوركايم يمكن إضافة أشكال أخرى مثل:

- **الانتحار الجماعي:** ويتخذ شكلين؛ فإما أن يقتل كل فرد من المجموعة نفسه أو توكل مهمة قتل البقية لعضو فعال من الجماعة كما حدث مع بعض الطوائف الجماعية التي نفذت انتحارات جماعية.
- **الانتحار "الهارة كيري" Hara Kiri:** عرف هذا النوع من الانتحار في اليابان، ويمكن أن يكون جماعيا أو فرديا، وقد اشتهر محاربو الساموراي بهذا النوع من الانتحارات، حيث يقدمون على وضع حد لحياتهم تكفيرا عن ذنبهم أو تعبيرا عن سخطهم واحتجاجهم، ولا يزال هذا الشكل من الانتحار حاضرا إلى اليوم، حيث يقدم بعض الأشخاص على حرق أنفسهم في الساحات العمومية أو أمام المباني الحكومية تعبيرا عن غضبهم من المسؤولين وسياساتهم.
- **الانتحار الفراري:** ويقوم به من يقدم عليه هروبا من العقاب أو من وضع لم يستطع تحمله (فقدان قريب، خسارة مالية كبيرة، ...).
- **الانتحار الطقوسي:** وفيه تتم التضحية بالنفس كقربان خدمة للمصلحة العامة أو إنقاذا للآخرين أو تقربا من الآلهة وقد كان سائدا بكثرة في الحضارات القديمة (مصر الفرعونية، ...).

7. العوامل المؤدية إلى السلوك الانتحاري:

يبدو أن إشكالية الانتحار مرتبطة بما سماه إيريك فروم الصراع بين الداخل والخارج وعدم الامتثال للعوامل الحضارية والاجتماعية:

1.7. العوامل النفسية:

بالنظر إلى سوابق الأفراد المقدمين على الانتحار، كثيرا ما نجد اختلالات حادة في الشخصية، مع وجود صعوبات مهمة في العلاقات ما بين الأفراد دامت لمدة من الزمن.

هناك علاقة بين الانتحار والأمراض الطب عقلية، حيث ينتحر المرضى العقليون من 20 إلى 100 مرة أكثر من بقية الناس. كما بينت الدراسات وجود علاقة بين المزاج، الإكتئاب والسلوك الانتحاري.

يمكن للسلوك الانتحاري أن يحدث من أجل وضع حد لمعاش الشعور بالذنب وفقدان القيمة la dévalorisation، كما يحدث للسوداوي le mélancolique الذي تبدو له الموت كنهاية للاتهام الذاتي الذي يعيشه l'autoaccusation.

يمكن للسلوك الانتحاري أن يكون محاولة للتخلص من وضعيات اضطهادية غير محتملة، داخلية كانت (معاش من الهلوس، ...) أم خارجية (المراهقون الذين يتعرضون لسوء المعاملة، ضغط الأولياء من أجل النجاح والفشل المدرسي الذي يعقبه، النساء المعنفات، ...).

2.7. العوامل الوضعية والاجتماعية:

عادة ما يكون للانتحار علاقة بالسياق العلائقي والرد فعلي réactionnel للفرد، حيث يكون مرتبطا بتعديلات حديثة في التوازن في 80% من الحالات: انفصال، شجار، حداد، إلخ.

يرتبط الانتحار بعوامل اجتماعية أيضا، فهو يمس الجماعات غير المندمجة اجتماعيا بشكل جيد والأشخاص الوحيدين. كما يرتبط بعوامل ظرفية كالأحداث المؤلمة التي عاشها الفرد.

من العوامل المتطرق لها العدوى أو النمذجة، أين تتبع قصص الانتحار التي تنتشر في وسائل الاعلام والمقالات والتقارير الاخبارية والمسرحيات القصصية بزيادة جوهريّة في الانتحار ويتناسب حجم الزيادة وتأثير هذه القصص لدى المراهقين أكثر منها لدى الراشدين.

افترض دوركايم في دراسته الشهيرة للانتحار، التي نشرها سنة 1897، أن المجتمع الصناعي يفكك الحياة الاجتماعية، ويقود إلى تفكك البنية الاجتماعية، حيث يفقد الفرد الذي ينتقل إلى المدينة الدعم الاجتماعي الذي كان يلقاه في قريته، حيث كانت العائلة، القبيلة والكنيسة، إلخ تمثل نظاما راسخا ومتماسكا يستند إليه الأفراد. وهكذا يسود في المجتمع الصناعي مناخ يغيب عنه التماسك الداخلي وفقدان النظام المرجعي للذوات مما يزيد من عدم التكيف والانحراف والتوجه نحو الانتحار. كما أشار دوركايم إلى عوامل أخرى مثل الانتماء الديني (زيادة نسبة المنتحرين من البروتستانت مقارنة بنسبتهم من الكاثوليك) أو مستوى التكوين (زيادة نسبة المنتحرين من بين أصحاب المستوى الثقافي المرتفع مقارنة بنسبتهم من بقية الفئات الأخرى).